مجلة الدّراسات الإسلاميّة
ISSN: 2253-0894 / EISSN: 2661-7390
المجلد 09 ـــــــــــــــــــــ العدد 01
جمادى الثاني 1442هـ ـــــــــــ جانفي 2021
♦ـــــ♦ـــــ♦ ص ص: 134 - 151 ♦ـــــ♦ـــــ♦

دور اللغة والأدب العربي في تأصيل الثقافة والفكر الإسلامي

THE ROLE OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE IN THE ROOTING OF ISLAMIC CULTURE AND THOUGHT

سمية العطري	Soumia Elottri
كلية الآداب واللغات - جامعة زيان عاشور - الجلفة - الجزائر	Faculty of Letters and Languages University of Ziane Achour Djelfa - Algeria
soumia1elottri@gmail.com	
بن عزوز العطري[1]	Ben Azouz Elottri
كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية والحضارة - جامعة عمار ثليجي - الأغواط - الجزائر	Faculty of Humanities Sciences, Islamic Sciences, and Civilization. University of Amar Telidji - Laghouat - Algeria
elottriben@gmail.com	

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020/12/10	2021/01/20	2021/01/31

الملخص:

هناك تكامل بين اللغة والأدب والثقافة والفكر والدين، وللغة العربية دور هام في المحافظة على أصالة المجتمع وحماية ثقافته وفكره، لأنها لغة القرآن وتأصيل العلوم، وهي اليوم تتعرض للتحديات للنيل منها، من أجل هدم بنيان الهوية العربية الإسلامية، بحجة أنها لا تصلح في عصر العلوم والرقمنة

1) المؤلف المُرسل: بن عزوز العطري - الإيميل: elottriben@gmail.com

وأنها لا تستوعب المصطلحات المعرفية الحديثة، ولذلك كان هذا البحث الموسوم بـ" دور اللغة والأدب العربي في تأصيل الثقافة والفكر الإسلامي" لمعرفة دور اللغة العربية وآدابها في المحافظة على اصالة الثقافة الإسلامية، وكيفية حصانتها من التحديات.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الثقافة، الدراسات الإسلامية.

Abstract:

there is complementarity between language, literature, culture, thought and religion, and the Arabic language has an important role in preserving the originality of society and protecting its culture and thought, because it is the language of the Qur'an. Rooting science, and today it is undergoing challenges to undermine it, in order to destroy the structure of the Arab-Islamic identity, under the pretext that it is not suitable in the age of science and digitization and that it does not accommodate modern knowledge terms. To know the role of the Arabic language and its literature in preserving the authenticity of Islamic culture, and how to protect it from challenges.

Key Words: Language, Culture, Islamic Studies.

مقدمة:

من المؤكد أن لكل أمة ثقافتها وفكرها الذي تتميز به عن غيرها، ولا شك أن هذه الثقافة تنعكس على لغة هذه الأمة وآدابها، فاللغة والأدب في أي مجتمع من المجتمعات هما مرآة ثقافته، واللغة هي الوسيلة التي يستخدمها ذلك المجتمع للتعبير عن عناصر هويته وانتمائه وثقافته المتمثل في العادات والتقاليد والمفاهيم، ويوجد تكامل بين اللغة والأدب والثقافة والفكر، بحيث تنبع كلها من منبع واحد يصدر منه ويصب فيه مرة أخرى وهو دين المجتمع، لأن الدين هو الذي يحدد وجهة المجتمع، فالدين الإسلامي يحدد ثقافة وفكر المجتمع الإسلامي، واللغة العربية تعبر عن ثقافته وفكره، ومن هنا فهذه الدراسة تتناول دور اللغة العربية وآدابها في ثقافة وفكر المجتمع الإسلامي.

ولا ننسى أن اللغة العربية تستمد قوتها من القرآن الكريم، ولذلك فهي ربانية الوجهة والمصدر، فهي لغة كونية عالمية لا يمكن الاستغناء عنها.

إشكالية البحث:

كما هو معلوم أن اللُّغة العربيَّة وثيقة الأواصر بهويَّة هذه الأمَّة، ووجودها وشخصيَّتها وخصائصها، فقد وعت منذ أمَدٍ بعيد تكوين الأمَّة الحضاري، وواكبت تطوُّر تراثها الثقافي في العلوم والآداب والفنون والتَّشريع والفلسفة، وقد اعترف علماء الغرب بقوتها وخصائصها

المميزة عن أي لغة أخرى، ولهذا فقد قامت حملة كبيرة من الاستعماريين والمستشرقين للنيل من اللغة العربية وآدابها لتقويض بنيان الهوية العربية الإسلامية، وهذا ما نجده في هذه الأيام من تشجيع للهجات المحلية، وإشاعة الأراجيف كونها لغة لا تصلح في عصر العلوم والرقمنة وأنها لا تستوعب المصطلحات المعرفية الحديثة والعلوم المختلفة، ولذلك نريد أن نطرح هذه الإشكالية على بساط البحث ونجيب على كثير من التساؤلات منها: ما هي حقيقة اللغة العربية وآدابها ؟ ما علاقتها بالثقافة والفكر الإسلامي؟ ما دورها في الحفاظ على هوية الأمة وحضارتها؟ ما مستوى التحدي الذي يواجهه الدين الإسلامي واللغة العربية؟ ما علاقتها بالعولمة والحداثة؟

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الموضوع فيما نسمع ونشاهد ونقرأ من حملات غربية تستهدف اللغة والأدب الإسلامي بدعوة التجديد والتنوير في عناصر الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي، من خلال الدعوة إلى التفرقة بين الإسلام واللغة والأدب والفكر ودعوات إلى حوار الثقافات، في محاولة لإضعاف اللغة العربية باللهجات والعاميات الإقليمية، وإقناع الرأي العام بأن اللغة العربية لا تصلح أن تكون لغة العلم والحضارة والفكر وثقافة المجتمع المعاصر، مع السعي إلى خلق لغة وسطى بين العربية الفصحى والعامية من أجل إنزال مستوى الثقافة العامة إليها، وعزل اللسان العربي والثقافة والفكر عن مستوى القرآن الكريم من الفصاحة، فمن هنا تأتي أهمية طرح الموضوع لمعالجة اشكاليته.

أهدافه:

نود أن نحقق مجموعة من الأهداف:

1. ضرورة الحفاظ على الهوية الإسلامية في العالم الإسلامي بمختلف أطيافه، وأماكن وجوده.
2. إبراز الدور الذي تلعبه اللغة العربية في الحفاظ على الهوية الإسلامية.
3. اظهار مكانة اللغة العربية عند المسلمين لنزول القرآن بها.
4. معالجة العوائق والإشكاليات والصعوبات التي تواجهها اللغة العربية.

5. المساهمة في إيجاد الطرق والوسائل لنشر اللغة العربية، وبثها بين أوساط الشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ليسهُل التعرف على الموروث الإسلامي والحضاري، والحفاظ على الهوية الإسلامية.

أسبابه:

يمكن أن نلخص أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

1. الدفاع عن اللغة العربية وآدابها المستمدة من ثقافة المجتمع وفكره الإسلامي
2. مواجهة الغارة والحملة الغربية التي تستهدف لغة القرآن وثقافة المجتمع الإسلامي
3. تعزيز دور اللغة العربية وآدابها في الحفاظ على أصالة وثقافة وفكر المجتمع الإسلامي
4. بيان دور اللغة العربية وآدابها في تأصيل الثقافة والفكر الإسلامي.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف حالة اللغة العربية وآدابها من حيث وضعيتها في الواقع المعاصر ومستوى التحديات التي تواجهها، مع تحليل هذا الواقع وفك أسبابه وغاياته وأهدافه، من أجل الوصول إلى الحلول التي نواجه بها هذا الواقع، باستخدام المنهج النقدي التأصيلي، بقراءة فاحصة ناقدة للإشكالية المطروحة وإعطاء رؤية جديدة بديلة وفاعلة قابلة للتطبيق في الواق، في محاولة للحفاظ على ثقافة المجتمع الإسلامي ومستوى الفكر والوعي بخطورة التحديات التي تواجه المجتمع المسلم في هذا العصر.

خطة البحث:

خطة البحث مقسمة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تضمنت المقدمة إشكالية البحث وأهميته وأهدافه واسبابه والمنهج المتبع في الدراسة، وفي المبحث الأول نتناول بعض المفاهيم والمضامين المتعلقة باللغة والآداب والثقافة والفكر في محاولة لتحديد معاني هذه المصطلحات والمضامين المتعلقة بها، وفي المبحث الثاني نسلط الضوء على دور اللغة العربية وآدابها في تأصيل الثقافة والفكر الإسلامي، وأهم التحديات والمعوقات التي تواجهها وكيفية تجاوزها.

المبحث الأول: مفهوم المصطلحات: اللغة والآداب والتأصيل والثقافة والفكر:

مـدلول اللغـة: اللسن، وهي فعْلَة من لَغَوت، أي: تكلَّمت، أصلها: لُغْوَة، وقيل: أصلها: لُغَيٌ أو لُغَوٌ، وجمعُها: لُغًى ولغات ولُغُون، وقيل: أُخذت اللغةُ من قولهم: لغا فلانٌ عن الصَّواب وعن الطَّريق، إذا مال عنْه؛ لأنَّ هؤلاء تكلَّموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين، وقيل: إنَّها ما جرى على لسان كلّ قوم. وقال الأزهري: واللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم.[1]

وتشير أمهات المعاجم العربية أن كلمة (لغة) في العربية ترجع إلى الجذر "لغو" أو "لغي"، وهو يدور حول معاني الرمي والطرح والإلقاء والإلغاء، ويؤكد على هذا المعنى الزبيدي في تاجه حين يقول: "اللغو وهو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يُرمى به". قال تعالى: ﴿**لَا يؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾[2]. واللغا: "السقط، وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع... وكل ما أسقط فلم يعتدَّ به ملغى.

اللغة في الاصـطلاح: أوَّل مَن عرف اللغة ابن جنّي في كتابه "الخصائص"، وقال: إنَّ اللغة هي مجموعة من الأصوات يعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم[3]. وقد تحدث عن نشأة اللغة التي كانت تشغل مكانا مهما في البحوث اللغوية آنذاك، وتعريف ابن جني يبين أن اللغة ذات قيمة نفعية، تعبيرية، فتعريفه للغة يتشابه مع آراء المدرسة التداولية "Pragmatique" في الدرس اللساني الغربي الحديث، وهو دراسة اللغة حال الاستعمال، أي: حينما تكون متداولة بين مستخدميها.

وعرَّفها بعض اللُّغويّين بأنَّها: مَجموعة من الرّموز اللفظيَّة وغير اللفظيَّة يعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم.

وعرَّفها بعضُهم بأنَّها: مجموعة من الرّموز والمصطلحات متَّفق عليْها بين أبناء الوطَن الواحد، أو بين أبناء المجتمع الواحِد؛ لتكون وسيلةً لتبادُل المعرفة فيما بينهم.

وقد اتفقوا على أن اللُّغة عبارة عن نظام صوتي يَمتلِك سياقًا اجتِماعيًّا وثقافيًّا له دلالاتُه ورموزه، وهو قابل للنُّموّ والتطوّر، ويخضع في ذلك للظّروف التَّاريخيَّة والحضاريَّة التي يمر بها المجتمع.

وتُعتبَر اللغة أهمَّ وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وبدون اللغة يتعذَّر نشاط الناس المعرفي. وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطًا وثيقًا؛ فأفكار الإنسان تصاغ دومًا في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني، ومن خلال اللغة فقط تحصل الفكرةُ على وجودها الواقعي.

الأدب في اللغة: الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة، قال ابن بزرج: لقد أدبت آداب أدبا حسنا، وأنت أديب، وقال أبو زيد: أدب الرجل يأدب أدبا، فهو أديب، وأدبه فتأدب: علمه، واستعمله الزجاج في الله عزّ وجلّ، فقال: وهذا ما أدب الله تعالى به نبيه ﷺ، والأدب: مصدر قولك أدب القوم بأدبهم بالكسر ادبا إذا دعاهم إلى طعامه[4]

التأصيل في اللغة: يقال أصل مؤصل، قال ابن جني: الأصلية موضع التأصل فقال: الألف وإن كانت في أكثر أحوالها بدلا من أصل جرت في الأصلية مجراه، وهذا لم تنطق به العرب إنما هو شيء استعملته الأوائل في بعض كلامها، وأصل الشيء: صار ذا أصل، قال أمية الهذلي[5]:

وما الشغل إلا أنني مُتهيب ❁ لعرضك ما لم تجعل الشيء يأصل

وقال الجرجاني: الأصل هو ما يبنى عليه غيره[6]

الثقافة في اللغة: ثقف الشيء ثقفا وثِقافا وثُثوفة: حذقه، ورجل ثَقف وثِقف وثَقف: حاذق، وقال ابن السكيت: رجل ثَقف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به، وثَقف الشيء سرعة التعلم، وهو غلام لقن ثَقف، أي ذو فطنة وذكاء[7]. وثقفت الحديث فهمته بسرعة والفاعل" ثقيف" وبه سمي حي من اليمن، وثَقفته اقمت المعوج منه[8].

والثقافة هي مجموع القيم والمفاهيم التي تحكم سلوك الأفراد أو المجتمع في حقْبة معيَّنة من التاريخ"

وتقابل كلمة "الثقافة" في اللغة الإنجليزيَّة كلمة (Culture)، ويدلّ على هذا المصطلح الإنجليزي في اللغة العربيَّة لفظان غير مترادفَين ولا قريبَين في الدلالة أو في الجذر اللغوي، حيث ترجم إلى ثقافة مرَّة، وإلى حضارة مرَّة أخرى، أو إلى اللفظَين معًا، فيقال: إنَّ (Culture)

هي الثقافة والحضارة، وإذا نظرنا إلى التراث العربي واللغة العربية لا نكاد نجِد أصلاً يحمل دلالة هذا المصطلح، في المعجم الوسيط مثلا ورد كلمة ثقف: حذق وفهم، والثَّقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحذق فيها.

الفكـر في اللغـة: الفكر: اعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكارا. والفكرة: كالفكر وقد فكر في الشيء، وقال الليث: التفكر اسم التفكير، ومن العرب من يقول: الفكر الفكرة، والفكرى على فعلى اسم، وقال الجوهري: التفكر التأمل[9]

والفكر بالكسر تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر وروية، ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا[10].

والفكر الإسلامي هو مجموع العلوم الدينية والقواعد والأسس التي بنيت عليها العلوم والمعارف الإسلامية وتاريخها، واسهامات العلماء في الحضارة.

ومن خصائص الفكر الإسلامي أنه رباني الوجهة والمصدر، وفي غاياته ومناهجه قال تعالى: ﴿**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾[11] كما أنه واضح في مضامينه وشامل لجميع شؤون الحياة، يستوعب كل القضايا حتى المستقبلية منها، ومتوازن وواقعي وثابت في أفكاره ويحترم اجتهادات العقل.

علاقة الأدب باللغة العربية:

علاقة الأدب باللغة هي علاقة الوظيفة بالمادة، والغاية بالوسيلة، والثمرة بالشجرة. فاللغة هي مادة الأدب الأولية، ووسيلته إلى إدراك غايته التواصلية. والأدب هو ثمرة اللغة، وناتج توظيفها، وحصيلة استثمار عناصرها الأولية وقواعدها الكلية. لذلك ما نشأت علوم اللغة إلا لإدراك أسرار الأدب، والبلاغة في الكلام، لقد ظل الأدب واللغة في تاريخ ثقافتنا العربية علمين توأمين متكاملين، فكان الأديب يحصّل من علوم اللغة ما تحصل به ملكتُه وتستقيم لغته وتستحكم موهبته. وكان الناقد هو العالم بفقه اللغة، المتبحر في علومها، وكان اللغوي غير منقطع عن معرفة الآداب، ولا عاجز عن بلاغة الأداء.

أما في زمننا الحاضر فقد شاعت مقولة اتساع العلوم وضرورة التخصص؛ فاستثمرها المتخصصون في اللغة العربية وآدابها في غير وجهها المستحق، فبالغوا في الاختباء وراءها لإخفاء التهاون في تحصيل الضروري من علوم العربية، ويرى بعض المتخصصين في اللغة العربية وآدابها أن لا حق للغوي أن يخوض في شؤون الأدب، ولا حق للأدبي أن يخوض في شؤون اللغة. ومن الضروري التنبيه لخطورة هذه النظرة القاصرة ومعالجتها فلا يمكن الفصل بين اللغة العربية وآدابها فهما كل لا يتجزأ.

مكانة اللغة العربية وآدابها في القرآن والسنة:

اللغة العربية هي لغة كلام الله خالق الإنسان والكون فهي لغة كونية قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[12] ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[13] والنبي ﷺ يمثل أيضًا بالنسبة للغة العربية قمة الأدب بوجه عام وفي البيان والفصاحة بوجه خاص، وكان عليه الصلاة والسلام الذوّاق الأول للغة العرب حينما يقول: "**إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمة**" [14]فلا يقول ذلك إلا الذي يستعذب ويستمتع باللغة ويحسن رؤيتها، بل ويتمتع بها ببيانها وبلاغتها وذوقها اللغوي والأدبي فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، وعن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: "هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ " قلت نعم. قال: "هيه" فأنشدته بيتا، فقال: "هيه" ثم أنشدته بيتا فقال: "هيه" حتى أنشدته مائة بيت. وعن جندب أن النبي ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميت أصبعه فقال[15]:

هل أنت إلا أصبعٌ دَميت ❁ وفي سبيل ما لقيت

والأستاذ العقاد وصف اللغة العربية بأنها "اللغة الشاعرة"، وقال: هي: الهوية

خصائص اللغة العربية وآدابها: من خصائص اللغة العربية الشريفة كما يصفها أنور جندي في كتبه، نذكر منها:

1. أنّها لغة الفكر والثقافة والعقيدة، من حيث هي لغة القرآن الكريم الذي ألقي إلى الفكر الإنساني، والذي يعد أضخم شحنة من القيم المبادئ للإنسانية.

2. إن ناطقها اليوم، يفهمون أشعار الجاهلية والمخضرمين، وفحول المتقدمين والمتأخرين، الأمر الذي دفع ريجيس بلاشير[16] Regis Blachere، يقول: "إن وحدة اللغة العربية هي وحدة أخلاقية ودينية قبل كل شيء."

3. إنّها تتميّز بتنوّع الأساليب والعبارات، فالمعني الواحد يمكن أن يؤدي بتعبيرات مختلفة، كالحقيقة والمجاز والتصريح والكناية.

4. لغة اشتقاق تقوم على أبواب الفعل الثلاثي، ومن المعروف أن الاشتقاق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج إليه كل إنسان، على نظام معين، الأمر الذي يؤدي إلى وجود ثروة هائلة من المفردات تزداد باستمرار.[17]

أهمية اللغة العربية وآدابها في الحفاظ على أصالة المجتمع:

مما هو معلوم أن اللغة العربية لم تنتشر في أرجاء العالم بالقهر والغلبة كما هو شأن اللغات الأخرى، بل احتضنتها الشعوب غير العربية، وأبدعوا بلسانها وتمكنوا من قواعدها، وهذا ما نجده في صفحات التاريخ الإسلامي، فكان البخاري الخراساني صاحب الصحيح، والزمخشري الفارسي صاحب الكشاف، وابن آجروم الأمازيغي صاحب المقدمة الأجرومية، وغيرهم من المتقدمين، ومحمد إقبال الباكستاني وأبي الحسن الندوي الهندي وغيرهم من المعاصرين.

تقول المستشرقة أنا ماري شمل: "إن ترجمته "القرآن" لا يمكن إلا أن تكون تقريبية ضمنية لا تضارع الأصل، إذ لا أحد، مهما بلغ من الحذق والكفاءة، يقدر أن يترجم ذلك الإعجاز الإلهي إلى لغة أخرى". ودليلها في ذلك "أن الإيقاع اللفظي والموسيقى الداخلية وتعدد طبقات النبر همسا وجهرا، وغير ذلك مما تحفل به اللغة العربية، ناهيك بلغة القرآن ونظمه المعجز، كل ذلك يجعل النقل من العربية إلى غيرها عسيرا"، لذلك خلصت إلى "أن كل ترجمة للقرآن مهما بلغت عاجزةٌ عن الوفاء بروح النص ولفظه"[18]. وكان للغة دور في تفسير القرآن الكريم، حيث نجد في التفاسير من التفنن في استثمار اللغة والاستدلال على صحة القراءة بلغة النص، فتوظيف اللغة هو أداة لتفسير القرآن. فالهوية الإسلامية أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، تستمد قوَّتها من الدين الإسلامي، وتعاليمه المبثوثة في القرآن والسنة المطهرة.

اللغة والثقافة الإسلامية في مواجهة العولمة

نحن في حاجة إلى فكر إسلامي معاصر يواجه التحديات التي تستهدف الأمة الإسلامية في لغتها ودينها وثقافتها ويعمل على تأصيل نظري علمي دقيق وفلسفي عميق حول اللّغة العربية والهوية العربية الإسلامية في ظل تحدّيات العولمة التي ركزت أهدافها على التفريق بين اللغة وثقافة المجتمع الإسلامي في محاولة لقطع الصلة بينهما وبين الحضارة الإسلامية وكل مقومات المجتمع، ولا يسمح بإنجاز نهضة جادّة وحقيقية. وتواجه اللّغة العربيَّة محاولات متكررة لتغليب العامية عليها، في محاولة لإضعافها وتغليب اللغات اللاتينيَّة لإيقافها عن النموّ في البلدان الإسلاميَّة، بما فيها الدول العربيَّة وغير العربيَّة، ومحاولة في استبدال العاميَّة بالفصحى واثارة النعرات الإقليميَّة والقوميَّات، وجنَّدوا لذلك أعوانًا داخل المجتمع الإسلامي. واستغلال وسائل الإعلام القديم والجديد ببث البرامج الوثائقية التي تسعى إلى هدم عقائده وأفكاره، ونشْر الأفكار الغربيَّة بديلا عنها.

السبب في نجاح العولمة في أهدافها هو الغلبة الثقافية والسياسية والاقتصادية التي تفرض لغتها على المجتمعات المتخلفة والتابعة لها في مجال من المجالات، وخاصة المجال العلمي حيث هيمنت اللغة الإنجليزية على العلوم والمعارف مع أن اللغة العربية أثبتت ثباتها وتجاوبها مع العلوم خاصة في مصطلحاتها الغزيرة، حت في مجال الإعلام الآلي، وبإمكاننا أن نطور اللغة العربية في المقررات الدراسية والمناهج وربطها بالحياة،

اللغة العربية وآدابها بين الأصالة والحداثة:

هذه الثنائية غير المتوازنة شكلت وعي المثقف العربي والإسلامي وأمست حديث المفكرين والأدباء والإعلاميين، بحيث نجد أنفسنا أمام خيارين، إما اللغة العربية أو اللغة اللاتينية، الأدب الإسلامي أو الأدب الحداثي، الفكر الإسلامي أو الفكر الفلسفي، الدنيا أو الدين، وهكذا سلسلة من الثنائيات التي لا تنتهي من عصر لآخر، لبقاء اللغة والأدب والفكر، تتجاذبه حوارات ومناظرات واتجاهات معاكسة، يراد منها شغل الناس عن الهدف الأسمى والمقصد الهام من وجود الإنسان كخليفة الله في الأرض للقيام بالمهمة التي من أجلها خلق، ومن هنا كان من الضروري النظر في أهداف الحداثة للخروج من هذا النفق وتحليل المشكلة ومعالجتها. لأن الذين يروجون لخطاب الحداثة

نظروا إليها انطلاقا من إنجازاتها المادية، ولم يلتفتوا إلى أسسها النظرية، وغاياتها القريبة والبعيدة، نظروا إليها على أنها حركة تنويرية عقلانية تهدف إلى سعادة الإنسان وامداده بالمعرفة ليتحرر من الخرافة، حسب ضنهم، كما يقول ديكارت: " يجب أن يكون الإنسان سيداً للطبيعة ومالكا لها". وعلومنا وتقنياتها تطورت وفق المفهوم المسيحي لعلاقة الإنسان بالطبيعة، فيما يتضمنه الإنجيل: " ملعونة أنت الأرض، بسببك أُطرد الإنسان من الجنة، لك خلق الفحم"[19] من هذا المنطلق كان تشكل فكر الحداثة الذي يُعلي من شأن الإنسان على حساب عقيدة الإنسان، وقد وصل الأمر بهذه الفلسفة المادية المعاصرة إلى حد التمرد على النظام الطبيعي، وراحت تقوم بتجارب في الهندسة الوراثية للإنسان، في حين نجد خطاب الله تعالى للإنسان يحدد بدقة هدف وجود الإنسان وعلاقته بالطبيعة قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ**﴾[20]

فمن أراد أن يمارس الحداثة، فيجب أن ينطلق من أصالة وثقافة مجتمعه، وبلغته وأدبه وفكره المؤصل الذي يعطي للوجود حقيقته المستمدة من خالق الوجود.

المبحث الثاني دور اللغة والأدب العربي في أصالة الثقافة الإسلامية

علاقة اللغة والأدب بالثقافة الإسلامية:

اللغة هي الناطق الرسمي باسم الثقافة، فالإنسان يشرح للآخرين وجوه التميّز الثقافيّ لدى أمّته، وشعبه، ويتعرّف أيضاً على الثقافات الأخرى الموجودة في هذا العالم. والمجتمعات الإنسانية لم تعرف الثقافة إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء أي أن ظهور الثقافة قد ارتبط بظهور الرموز أو العلاقات التي تكون نظام اللغة، وإذا كانت كلمة ثقافة تشير في كتابات الأنثربولوجيين إلى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما، فإن هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والثقافة، فلا تنشأ الثقافة بدون اللغة التي تمكن الإنسان من تحقيق التعاون والاتصال مع غيره، والعمل على التواصل مع الآخر. " ومن غير المقبول أو المعقول أن نركز على ثقافة أمة من الأمم بإغفال المكون اللغوي لتلك الأمةودورها، " الواقع أن اللغة أكثر من مجموعة أصوات، وأكثر من أن تكون أداة للفكر أو تعبيرا عن عاطفة، اللغة جزء من كياننا البسيكولوجي الروحي".[21]

أصالة اللغة والأدب العربي ومستقبل الثقافة الإسلامية

اللغة والثقافة هما من أهمّ الأمور التي تحدّد شخصيّة الفرد والجماعة، والتي تسهم في توجيه التفكير لدى الإنسان، فمن الضروريّ الاعتناء بهما، وتوريثهما إلى الأجيال اللاحقة، وهذا الواجب يتوزّع على العديد من الجهات؛ كالأسرة، والدولة، والمدرسة، والمختصّون، وغيرها، غير أنّ الأسرة وبسبب دورها الكبير في صياغة شخصيّة الفرد يقع عليها حملٌ كبيرٌ في ذلك، فلا يجوز أن يتكلّم الأب أو الأمّ مع الأطفال بلغة غير لغتهم الأم بداعي التّطور، ومواكبة العصر، وهذا لا يعني عدم تعليم الأبناء لغاتٍ أخرى، لكن يمكنهم ذلك بعد أن يُتقنوا اللغة الأمّ بشكلٍ تامٍّ. إنّ الدّولة وبسبب سلطتها العالية هي قادرة على توجيه الشعب بالطّريقة التي تريدها، يكون ذلك من خلال المؤسّسات المختلفة، والجهات المعنيّة التابعة للدّولة والتي ترعى شؤون الثقافة في البلاد، ومن هنا يتبيّن أنّ هذا الحمل الثقيل هو مسؤوليّة مشتركة على كل أبناء اللغة والثقافة[22].

وبذلك تجاوزت اللغة العربية حدود القبيلة والقوم وارتبطت بالإسلام فكانت لغة عقيدته وشريعته وخطابه إلى جميع البشر. وعلى الرغم من عدم فرض اللغة العربية على الشعوب الإسلامية ذات اللغات الأخرى إلا أنها انتشرت بانتشار الإسلام في بلاد ما وراء النهر من بلاد فارس والهند والسند، وانتشرت في مصر وشمال أفريقيا، وكذلك تأثرت اللغات الأوروبية بها منذ بداية الصراع البيزنطي الإسلامي في الشرق، وفي إسبانيا.

التأصيل اللغوي والأدبي للثقافة والفكر الإسلامي:

مما هو معلوم أن اللغة العربية لم تنتشر في أرجاء العالم بالقهر والغلبة كما هو شأن اللغات الأخرى، بل احتضنتها الشعوب غير العربية، وأبدعوا بلسانها وتمكنوا من قواعدها، وهذا ما نجده في صفحات التاريخ الإسلامي، فكان البخاري الخراساني صاحب الصحيح، والزمخشري الفارسي صاحب الكشاف، وابن آجروم الأمازيغي صاحب المقدمة الأجرومية، وغيرهم من المتقدمين، ومحمد إقبال الباكستاني وأبي الحسن الندوي الهندي وغيرهم من المعاصرين.

تقول المستشرقة أنا ماري شمل: "إن ترجمته "القرآن" لا يمكن إلا أن تكون تقريبية ضمنية لا تضارع الأصل، إذ لا أحد مهما بلغ من الحذق والكفاءة، يقدر أن يترجم ذلك الإعجاز الإلهي إلى لغة أخرى". ودليلها في ذلك "أن الإيقاع اللفظي والموسيقى وتعدد طبقات

النبر همسا وجهرا، وغير ذلك مما تحفل به اللغة العربية، ناهيك بلغة القرآن ونظمه المعجز، كل ذلك يجعل النقل من العربية إلى غيرها عسيرا"، لذلك خلصت إلى "أن كل ترجمة للقرآن مهما بلغت عاجزةٌ عن الوفاء بروح النص ولفظه"[23]. وكان للغة دور في تفسير القرآن الكريم، حيث نجد في التفاسير من التفنن في استثمار اللغة والاستدلال على صحة القراءة بلغة النص، فتوظيف اللغة هو أداة لتفسير القرآن. فالهوية الإسلامية أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، تستمد قوَّتها من الدين الإسلامي، وتعاليمه المبثوثة في القرآن والسنة المطهرة.

اللغة العربية هي التي جمعت أمة العرب قديمًا وفي العصر الحديث، وهي التي أوجدت قنوات التخاطب وقنوات العلاقات بين أبناء الأمة الإسلامية، فاللغة العربية هي التي تقوم بإقامة علاقات ثقافية وفكرية بين الشعوب الإسلامية، وتعمل على التواصل بينهم من المحيط إلى المحيط ليتعارفوا ويتعاونوا فيما بينهم، ولا ننسى أن أساليب اللغة تساعد جدًا في فهم القرآن الكريم.

وقد اهتم المسلمون بضبط اللّغة وجمعها، وتحْديد ألفاظها، وقد أدَّى هذا الاهتِمام إلى ظهور المعاجم اللّغويَّة والنَّحويَّة والصَّرف والعروض، وهي من العلوم التي لها تأثير على ثقافة المسلمين من أوجه متعدّدة، منها:

1- أسلوب التحيَّة بالتَّسليم وردّه.

2- استخدام بعض مصطلحات عربيَّة متعلقة بالدّين الإسلامي، كالصَّلاة والحجّ والزَّكاة، والمسجد والجنازة والدّعاء والنكاح والطلاق. لا يوجد مسلم لا يفهم أو لا ينطق بتِلك المصطلحات اللغويَّة العربيَّة، مهما كان ضعْفه في العربيَّة وإن لم يكن عربيًّا.

3- وأسلوب الكتابة بالأحرُف العربيَّة عند بعض اللّغات المنتمية إلى الإسلام، كالفارسيَّة والتّركيَّة والأورديَّة، وغيرها من اللغات التي تعتبر لغات المسلمين.

4- اللغة العربيَّة كوسيلة مهمَّة في أداء العبادات المحتاجة إلى التلفُّظ، كالقراءة في الصلاة، والتّلاوة والتَّلبية في الحجّ، والتلفظ بالأدعية والأذكار المأثورة وغيرها.

5- وقد أثَّرت العربية في القراءاتِ القرآنيَّة، من حيثُ إنَّ لكلّ قراءة دليلها المقنع في اللغة، لاسيَّما إذا كانت مثل هذه القراءة من القراءات الصَّحيحة.

ومن بين أوجُه تأثير العربيَّة في ثقافتنا: نزول القرآن دستور المسلمين نفسه باللّغة العربيَّة، وقد تكرَّر الإقرار بنزول القُرآن بهذه اللغة العربيَّة لحكمة التبيّن والتعقّل والتدبّر المحكم والتفصيل.

معوقات انتشار اللغة العربية:

اللغة العربية اليوم تعاني من كثير من المعوقات والعقبات التي تعترض انتشارها وتطورها نذكر منها:

1. استعمال اللهجات المحلية: المجتمعات العربية خاصة تستخدم اللهجات المحلية في المعاملات اليومية، وأحيانا في المؤسسات التربوية والمراكز الجامعية.
2. تهجين اللغة العربية: وذلك بمزج الألفاظ العربية باللهجات العامية واللغات اللاتينية.
3. سياسة التهميش المتعمد: بالرغم من التنصيص عليها في الدساتير كلغة رسمية للتداول والتخاطب في دول شمال إفريقيا، إلا أن "اللغة الرسمية الفعلية" هي اللغة الفرنسية، إذ هي اللغة المستعملة في الإدارة وفي المستشفيات، وهي لغة الإشهار، وهي لغة المواقع الرسمية للوزارات والإدارات، ولغة كليات الطب والهندسة، وحتى حواسيب البريد والأبناك ليست ثنائية البرمجة.
4. الازدواجية اللغوية في التعليم: حيث تفرض على التلاميذ في كل مراحل التعليم فرض ازدواجية اللغة على التلاميذ منذ نعومة أظافرهم، مما يعيق النمو اللغوي والمعرفي والفكري، للطفل ويخلق له اضطرابات نفسية، وهو في الأطوار الأولى من النمو.
5. تشويه أداء وصورة اللغة: وذلك بإظهار اللغة العربية بمظهر العاجز غير القادر على حمل العلم والمعرفة بكل فروعها، بقصد التشجيع على استعمال اللغات الأخرى، بدعوى أنها لغات العصر والتقدم والعلوم والمعارف.
6. اضعاف اللغة إعلاميا: وذلك باستغلال وسائل الإعلام القديم والحديث، عن طريق الأفلام والمسلسلات والمحادثات، وفي وسائل التواصل الاجتماعي. وهذا له حضور وبعد سيميائي خطير.

□

سبل تجاوز معوقات استعمال وتطوير اللغة العربية:

يمكن أن نلخصها فيما يلي:

1. تمكين استعمال العربية الفصحى في المؤسسات التربوية، وخاصة في المراحل الابتدائية من التعليم، ويمكن الانفتاح على اللغات الأخرى بعد دخوله مرحلة التعليم المتوسط وما بعده.
2. إدخال اللغة العربية إلى كليات الطب والهندسة وعموم المعاهد العليا، وفي جميع الفروع العلمية في المعاهد والجامعات ومراكز البحوث.
3. استغلال الإعلام القديم والجديد في استعمال العربية وانتشارها وتطويرها.
4. ربط المجتمع الإسلامي بحضارته وثقافته، واستغلال الكفاءات العلمية، لأن كثيرا من أبناء المسلمين يدْرُسون العلوم البحتة في المراحل الثانوية باللغة العربية، ولا يستطيعون ولوج المعاهد العليا لعدم قدرتهم على تجاوز العائق اللغوي، فتُحرم الأمة من كفاءاتهم وقدراتهم.
5. تطوير اللغة في مراكز البحث وتنميتها، وخاصة في الاستعمال الطبي الذي يتطلب مصطلحات جديدة تواكب التطور في مجال الطب والأوبئة وغيرها.
6. تعميم التعريب في جميع المجالات، ومنها استخدام المصطلحات العلمية الأجنبية بغية تعريبها وإلحاقها بالمصطلحات العربية الصميمة.
7. نشر الوعي بأهمية اللغة العربية وعدم اعتبار ذلك القطاع غيرَ منتج، لما يترتب عن ذلك من أثر إيجابي على المستوى الثقافي والاقتصادي.

خاتمة:

اللغة العربية شعار الأمة الإسلامية، وهي من أهم وسائل تميزها عن الأمم الأخرى، قال ابن تيمية: " اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق". وقد ذكر علماء اللغات أن اللغة ليست مجرد أداة للفكر بل هي جزء منه ووسيلة للتميز والحفاظ على الذاتية والهوية المستقلة عن غيرها.

والدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية وتمكينها وتقويتها لا يُفهم منه أننا ندعو إلى الانغلاق على الذات وعدم الانفتاح على لغات الآخر، لأن الانفتاح ضرورة حضارية لا مناص منه، بشرط ألا يكون ذلك على حساب لغة الأم والثقافة والحضارة من أجل تحصين الذات، فاللغة العربية من أهم عناصر الهُوية والأصالة والتفريط فيها تفريط في الهوية والثقافة والفكر.

واليوم نحن في أمس الحاجة لدراسة مثل هذه القضايا الحساسة في خضم صراع الحضارات الذي يتطلب اليقظة والقيام بأعمال ملموسة وعملية لصيانة وحصانة المجتمع الإسلامي من الانحراف اللغوي والأدبي من أجل مستقبل أفضل، وذلك من خلال تكثيف اللقاءات العملية والتكوينية في هذا المجال الحساس ومحاولة تطويع الآليات التقنية الحديثة واستغلالها في عملية التأصيل وتسريع دورها لهدف المشروع الحضاري الإسلامي في تنوير وتحرير عقول الناس من القيود المادية، وتأهيلهم للقيام بدورهم الحضاري باستخدام أدوات وآليات العلم والمعرفة، ولأجل ذلك فقد اهتدينا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات الهامة .

أهم التوصيات والنتائج:

1- أهمية اللغة العربية في حفظ الهوية الثقافية والإسلامية والحضارية.

2- تفعيل دور اللغة العربية باعتبارها لغة عالمية لها مكانتها بين اللغات العالمية.

3- الإفادة من الدراسات اللغوية والأدبية النظرية والتطبيقية للإسهام في أصالة الثقافة الإسلامية.

4- الحرص على تعلم اللغة العربية وتعليمها ونشرها في البلاد الإسلامية.

4- التنوُّع في المناهج التي تُعلِّم اللغة العربية، والسعي إلى تطويرها.

5- التبادل الثقافي بين البلدان العربية والبلدان الإسلامية غير الناطقة بالعربية، بإرسال بعثات طلابية، ومعلمين لأخذ الخبرة، وتصحيح النُّطق والمعنى.

6- الإكثار من الأنشطة والفعاليات التي تخدِم اللغة العربية، وتساعد على نشرها؛ مثل: المؤتمرات والندوات.

7- تعزيز التواصل الثقافي والفكري والأدبي بين الشعوب الإسلامية لبناء حضارتها والرقي بها.

8- ضرورة تشجيع كل ما يساهم في الحفاظ على الثقافة الأصيلة.

قائمة المصادر والمراجع:

❁ القرآن الكريم

1) ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج:1، ط:1، 1990.
2) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج:1، (د.ط)، 1984.
3) الإنجيل، بيت المقدس، سفر التكوين.
4) التبريزي محمد الخطيب، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، ج:3، ط:3، 1985.
5) الجرجاني علي الشريف، التعريفات، دار الفكر، بيروت، ط:1، 2005.
6) الفيومي المقرئ، المصباح المنير، المكتبة العصرية، بيروت، ط:1، 1996.
7) أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت1981، ط:2، ص:11.
8) محمد مروان، قضايا اللغة والثقافة، بتاريخ 2018/7/24. اطلع عليه: 2018/09/19. من: www.publications.iua.edu.sd
9) مراد هوفمان، أنا ماري شمل، الإسلام كبديل، مكتبة العبيكان، الرياض، م:1، ط: 2، 1997.
10) موسى بن سعيد، اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة"، اطّلع عليه بتاريخ 2018/7/24. من: http://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/view/898

الهوامش:

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج: 1، ص: 4049.
2- سورة المائدة، الآية: 89.
3- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج: 1، ص: 33.
4- ابن منظور، المرجع السابق، مج: 1، ص: 43.
5- المرجع نفسه، مج: 1، ص: 89.
6- الجرجاني علي الشريف، التعريفات، دار الفكر، بيروت 2005، ط: 1، ص: 24.
7- ابن منظور، المرجع السابق، مج: 1، ص: 493.
8- الفيومي المقرئ، المصباح المنير، المكتبة العصرية، بيروت 1996، ط: 1، ص: 47.
9- ابن منظور، المرجع السابق، مج: 5، ص: 3451.
10- الفيومي، المرجع السابق، ص: 248.

11- سورة آل عمران، الآية: 79.

12- سورة يوسف، الآية: 2.

13- سورة فصلت، الآية: 3.

14- التبريزي محمد الخطيب، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي بيروت 1985، ط: 3، ج: 3، ص: 1350.

15- المرجع نفسه، ج: 3، ص: 1351.

16- عالم لغوي فرنسي.

17- ديهياتون مسكون، اللغة العربية ودورها في الحضارة، مجلة تساقفة، جامعة دار السلام، مج: 11، عدد: 2015/1، ص: 172.

18- مراد هوفمان، أنا ماري شمل، الإسلام كبديل، مكتبة العبيكان، الرياض، م:1، ط: 2، 1997، ص11.

19- الإنجيل، بيت المقدس، سفر التكوين، الآية 1.

20- سورة الجاثية، الآية: 13.

21- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت1981، ط:2، ص:11.

22- موسى بن سعيد، اللغة العربية بين الحفاظ على الهوية ومواكبة عصر العولمة، اطّلع عليه بتاريخ: 24/7/ 2018 بتصرف: www.alarabiahconference.org.

23- مراد هوفمان، المرجع السابق ، ص: 11.